

النشاط الثقافي في العالم

فرنسا

رسالة من بدر الدين عرودي
باريس الرعب والسحر ...

- ولكن ما الذي جثت تفعله في هذه المدينة الرعبية ؟

المدينة الرعبية هي باريس بالطبع . والسؤال يطرحه عليك معظم الباريسيين الذين تجاوزوا الأربعين من عمرهم . وسرعان ما يكشف هذا الغريب القادم من بعيد حلمه . هل هو حلمه حقا ؟ أبدا . ولتجلس قليلا مع هذا الذي يطرح عليك السؤال ، لتجد أن له حلمه هو الآخر . انه يحلم بالجبال التي تفصل اقدمها في البحر وترصع هاماتها بالثلج في كولومبو . يحلم بتلك الحياة الرخية السادرة في بغداد ، حيث لا تستيقظ في الساعة السادسة صباحا ، والظلمة ما تزال تلف أجواء باريس ، لكي يتناول على عجل فنجانا من الحليب وكسرة من الخبز ، ثم ليحشر نفسه بين المئات بل الالوف في المترو . امامه ساعة ، وأحيانا أكثر من ساعة ، لكي يصل الى مكان عمله . ثم لكي ينخرط في هذه الآلة الكبيرة التي لا تكف عن الحركة من التاسعة صباحا حتى السادسة مساء ، ليجد نفسه مرة أخرى في علبه سردين مضادة ، تتحرك كالافعى في سرايب المدينة الكبيرة . ساعة أخرى ليصل الى البيت ، منهكا ، مستنفدا : يتناول عشاءه ، ثم يغط في نوم حافل بكوابيس الاجازة القادمة : أين سيقضي عطلة عيد الفصح ؟ أين سيقضي اجازة الصيف ؟ سؤال تحتاج الاجابة عنه شهورا . ثم تعود الحياة من جديد سيرتها العصرية !!

يفضحك ملء فمه ، وينضح وجهه بالسخرية . يقول لي : أنهم يطلقون على بلادكم اسم البلدان المتخلفة .. ولم أفهم بعد تقدمهم لكي أفهم تخلفكم . لكنني أفهم انكم أفضل منا . انكم على الاقل تعرفون كيف تستفيدون من وقتكم . تعملون . ولكنكم تملكون اوقات فراغ جميلة . انكم لستم متخلفين هنا ، وانما نحن المتخلفون .. اننا نركض كل يوم بدون أية غاية ، أما أنتم فما زلت تملكون الامل على الاقل . قد تكونون غير مجهزين بما فيه الكفاية . ولذلك لست أفضل هذه التسمية التي يطلقونها على بلادكم ، بلادكم أنتم بشكل خاص ، وانما أفضل اسما آخر هو « Les pays sous equipes »

أنتم منبع ثروتنا نحن الذين نسيء التصرف بها ومع ذلك نطلق عليكم لقب المتخلفين .. ويقولون انه عصر العقل الالكتروني !!

التحدث هنا صحفي فرنسي تجاوز الستين من عمره ، قضى ثلثي عمره في التنقل بين أرجاء العالم ، وربما قضى ثلث هذا العمر في الوطن العربي . انه يعرف الجميع : ملوكا ورؤساء وزعماء ، ويتحدث عن عبد الناصر حديثه عن صديق التقاه قبل قليل وتناول معه فنجانا من القهوة وتبادلا خلال ذلك ذكريات المدرسة .. ويذكر من دمشق غوطتها ، ويتأسف : دمشق كباريس ، تنمو على حساب الخضرة النادرة في عصر المدن الكبرى هذا !!

ليس هو الوحيد في ذلك ، وانما كثيرون غيره يرددون نفس ال (أوف) . فيما يشبه السيرة الذاتية ، او ان شئت مدخلا الى سيرة ذاتية ، الذي صدر قبيل أيام تحت عنوان « MA Moitié d'orange » ، يكتب جان لوي بوري : « أحب الحياة في المدن ، فيما عدا باريس » . ويجلس ، لكي ينظر الى صديقه كلود ميشيل كلوني - وهو ناقد سينمائي - بحسد : « سينهب الى القاهرة خلال أيام .. أه ، وسيضيع في أحيائها القديمة كطفل صغير .. أكان عدلا الا أستطيع الذهاب معك ؟! »

ولا يصدقون أنني كنت أحلم بهذه المدينة ، وانني الآن ألقى في شوارعها بنفسني مستسلما لكل شيء فيها : لحشود الناس في شوارعها ، لمخازنها الضخمة ، لمكتباتها ، لمعارضها .. مستسلما ، لأنني لا أستطيع ان اتخذ قرارا . وأي قرار يمكن ان تتخذه في اختيار واحد من ألف ؟ ثم كيف يتاح لك ان تتخذ هذا القرار يوميا ؟ اليس الاستسلام هو الاستجابة الوحيدة لمثل هذه الميراثات ؟

حسنا . هنا أذن يمكن رعب المدينة وسحرها . انها ملتقى ومنطلق الرياح الأربع . ولا بد لك من ان تكون قويا بما فيه الكفاية ، ومتفردا تماما ، لكي تضع رأسك وسط هذه الدوامة دون ان تشعر بالبور .

باريس الرعب والسحر ؟ .. نعم . ويكفي ان نستمع الى نشرة اخبار المساء في التلفزيون لكي نشعر بالسور . ينقلك مذيوعها ، عبر شوارعها المديدة فقط ، الى انحاء المسالم المختلفة : في كليبر يتقرر مصير السلام في فيستام . في الباليه رويال موقف الفرانك من الدولار . في الكيه دورسيه تلتقى زيارة وزير الخارجية الصهيوني .. ثم .. ثم .. وراء ذلك او تحت ذلك ، تجتمع العصور المختلفة في لحظة واحدة ، وتستعاد لحظات من التاريخ لها مذاق البهار ، لحظات من التاريخ الأدبي على وجه الخصوص ، وتنقل فورا الى لحظات أخرى مجهولة ما تزال في سديم المستقبل بخارا لا لون له ولا شكل : انها المفاجأة ، بل هي الصرعة التي غدت نمطا ، فيما يبدو ، من انماط عصرنا .

أقول صرعة ، ولن أشطب هذه الكلمة لكي استبدلها بأخرى . قبل اسابيع حمل احد الفنانين العرب ، بناء على نصيحة استاذاه في أكاديمية الفنون الجميلة في باريس ومساعدته ، حمل لوحاته الأخيرة الى احدى صالات العرض . هناك فحصوا هذه اللوحات ، وأبدوا في النهاية اعجابهم بها . ولكنهم تأسفوا : ف نوعية اللوحات لا تقدم مفاجأة الى قطيع المصارف الفنية الباريسي هذا الموسم . لو انه قدمها في الموسم الماضي لكانت مفاجأة مثيرة ، لكانت أعجوبة الموسم .. أما الآن فلا .. بكل أسف .. لا ! كان بوسع صديقنا الفنان ألا يذهب بنفسه وان يلعب لعبة غيره ، لكي تتصدر صورته أغلفة المجلات ، ولكي تزدهم شقته بالمصورين وطالبي الاحاديث الصحفية ، وان يبدأ باعطاء المواعيد بعد شهر ونصف .. و .. و .. وأن يفنو مسامرا من مسامير هذه الآلة العجيبة ، ولكن اعماله الفنية ستتحول بذلك الى بنطال يستبدل بغيره ما ان يهتريه ، وستكف في النهاية عن ان توجد .

ذلك ان الثقافة القائمة على الاستهلاك ، لا تفرق ، كما أشرت في رسالتي السابقة ، بين كتاب وعلبة جبن ، او بين اثر فني وعلبة كلينكس . صحيح انه وسط ذلك كله تستطيع ان تتلمس الاصاله هنا او هناك : في رواية او بحث او لوحة .. ولكن أني لك ان تفعل ذلك دوما (او بالاحرى كيف ؟) وأنت محاصر كل يوم بالصحافة والاذاعة والتلفزيون ، بالنشرات والاعلانات والدعايات في الشوارع وعلى أرصفة المترو ، بل وفي علب المترو ؟ هل يمكن ان تتنفس بحرية ضمن جو الحصار الخانق هذا ؟ وكيف ستحاول ان تتمرد ، لكي تتخلص من محاولة حشرك بالقوة ضمن الكتلة المتجانسة التي يصنعها سادة مجتمع الاستهلاك ببراعة مذهلة ؟

أنهم قد وصلوا اليك اخيرا . فعد ان سادت النمطية كسل الاشياء ، لا بد من ان يحول الناس ايضا الى انماط او بالاحرى الى كتل متجانسة . لن تكون هناك فروق فردية .. بل فروق بين الكتل . سوف يفصل الانسان ويشذب ويصنع على نمط واحد هو نمط الكتلة .

وبعد ذلك ، يستطيع هذا المفامر بأموال غيره ان يصنع من انسان عادي فنانا شهيرا ينتقل بين نيويورك وطوكيو ، جامعا هنا وهنساك الثروة واصداء الاعجاب .. ويستطيع آخر ان يفبرك كتابا يبيع الكتاب الاول له عشرات الالوف من النسخ خلال الاسبوع الاول من نشره .. وآخرون ... اما أنت فلست الا واحدا ، رقما مسجلا على عسدة بطاقات تحملها معك دوما : يعرفونك من خلالها ، ولا يتذكرونك الا في لحظة الموت !

اوليس ثمة مهرب من هذه الدوامة ؟ بلى !.. انها لحظات الماضي المجنون ، وخصوصا عشرينات هذا القرن : سنواته المجنونة . وباريس لها ذكرياتها التي لا تنضب عن تلك السنوات الحارة . فقد احتضنت خلالها عشرات العبقريات العالية في كل ميادين الفنون ، وصدرتهم للعالم حاملين عطرها .

« امنحني هذا الفالس » ..

وخلال الاشهر الماضية كانت باريس على موعد مع واحدة من هذه الذكريات . مع واحد ينتمي اتي جيل لم يكتشفها فحسب وانما اكتشف كل الاماكن الشهيرة في فرنسا اليوم ، وأعني به الروائي الاميركي « سكوت فيتزجيرالد » ، الذي لم يعرفه القارئ العربي للأسف الا منذ سنتين فقط عندما ترجمت له (روايات الهلال) في القاهرة روايته الشهيرة « غاتسبي العظيم » .

هل هو سكوت فيتزجيرالد حقا ام ملهتسه وزوجته زيلدا (العظيمة) ؟

خلال السنوات الماضية ، كان كل ما يكتب عن فيتزجيرالد مرصودا له ، لسيرته بوصفه الناطق الرسمي باسم عصر الجاز ونموذجه الكامل . ولا تلب زوجه « زيلدا » الى جانبه الا دورا ثانويا ، وفي كثير من الاحيان دور العقبة التي أدت في النهاية الى نهايتهما الفاجعة مما من هنا أهمية هذه المحاولة التي قامت بها فتاة اميركية في الخامسة والعشرين من عمرها « نانسي ميلفورد » لانصاف (زيلدا) .. للبحث فيما وراء الاحكام النهائية الصادرة عليها من كبار معاصريها (جون دوس باسوس وارنست همنغواي) ، وعبر استقراء مناسبات الوثائق والصور والشهادات الحية لعشرات الاشخاص في اوروسيا واميركا من الذين كانت لهم في عشرينات هذا القرن علاقات مع هذين الطفلين المرعبين اللذين ولدا مع القرن العشرين وقتلا به .

نانسي ميلفورد وكتابها « زيلدا » مترجما الى الفرنسية اخيرا مع رواية زيلدا في كتاب آخر للمرة الاولى باللغة الفرنسية « امنحني هذا الفالس

Accordez moi cette valse

كانا حديث الاوساط الثقافية خلال الشهر الماضي في باريس . وكان باريس تحاول ان تستعيد ذكراهما معا بعد ان كانت تذكر واحدا منهما هو سكوت فيتزجيرالد ، ناسية زيلدا التي كانت في الاساس من وجوده الادبي .

يكتب معاصروهما عنهما :

« ١٩٢٠ : كانت لهما ملامح ابناء الشمس . كان شبابهما صاعقا ، وكان العالم كله يريد التعرف اليهما . كانا الاكثر جمالا ، والاكثر شبابا ، والاكثر جنونا » .

« ١٩٢٠ - ١٩٢٠ : كانا بينيان تعاستهما وروائع ادبية تؤلف قصة

تحكي حطام حياتهما وحبهما » .

« ١٩٣٠ : نهاية السنوات المجنونة ، واليقظة الباردة لصباح اليوم التالي للعيد . لقد اصبح اطفال الجاز زوجين مرعبين ، غارقين ، هو في الكحول ، وهي في الجنون » .

ويكتب هو : « أريد ان اكون ، من جسدي ، محط اعجاب الجميع ! » .

وتكتب هي : « بعد مائة عام أحب ان يبحث الناس عن معرفة ما اذا كانت عينا زرقاوين او بنيتين ! » .

ولم يكن هو بحاجة الى شيء آخر غير حياته وروايته ، لكي يكون محط اعجاب الجميع . وما تزال اصداؤه اصدا جونه تلون

اجواء باريس ، بل نيويورك .

أما هي ، فلم تكن بحاجة الى مائة عام . خمسون عاما على تاريخ هذه الكلمة ، وتاني فتاة اميركية مسحورة بهذين الطفلين ، لكي تطرح السؤال الذي يمكن ان طرحه كل امراة بعد ان تستمع الى نهايتهما الفاجعة : من المسؤول ؟

كان لا بد لها حقا من ان تكون مسحورة بزيلدا ، لكي تدخل عالمها من كل ابوابه لكي تكتشف مناجيه الفاضلة . تجيب نانسي ميلفورد : « كانت زيلدا تكره روايات فيتزجيرالد .. وأردت ان اكتشف السبب . ان كتابي دراسة عن الجنون والوحدة . في البداية ، لم اكن اعرف حقا اذا كنت احببت زيلدا . اما الان فاني اعرف ذلك بالتأكيد . على اتي لم اجعل منها لا أما طيبة ولا زوجة مخلصه . ان زيلدا لم تحطم « سكوت فيتزجيرالد » - كما هو شائع - ، ولا يمكن اجبار احد من الناس على ان يصبح كحوليا - في برينستون كان يشرب ايضا - ، ولا على ان يفدو مجنونا . كل انسان مسؤول عن مصيره » وتتابع : « لقد استقبل كتابي بشكل جيد من قبل جمهور نسائي : فتيات في العشرين وجدن في زيلدا أختا ، فانخذن منها نموذج المرأة المضطهدة ! » . وتبسم : « فالزواج دوما معركة حافلة بالنفاسة والمزاومة ! » .

وانما زواجهما هو بداية هذه القصة الفاجعة التي يمكن ان تصاف حقا ، كآثر ادبي ، الى آثارهما الادبية معا : « حنان هو الليل » ، « ذلك الجانب من الفردوس » ، « السعداء والمعدبون » ، « غاتسبي العظيم » و اخيرا « امنحني هذا الفالس » .

في البداية ، كانت الآلهة ترعاهما على حد قول نانسي ميلفورد . عندما كانا يقضيان اليوم الاول من زواجهما ، في الشقة (٢١.٩) في فندق « بلتي مور » وبرتبان اولى هدايا زواجهما ، كان « سكوت » يفكر : « بالكاد يتمكن المرء من ان يتزوج المثل الاعلى لاحلامه ! » . اما هي فقد كانت تحيا لحظات مفعمة بجنون المتسعة « كانت تشعر بالجوع في منتصف الليل ، فتأمر خدم فندق بلتي مور باحضار السبانخ الطازجة والشمبانيا ! » .. وتكتب ، بعد ايام ، رسالة ، سوف يستخدم سكوت مقاطع منها في روايته « السعداء والمعدبون » :

« ... اني اطلع الى الطرقات وأراك تأتي . ومن كل سدفة ، من كل غيمة ، تسرع سراويلك المدعوك العزيرة نحوي . بدونك يا غالي ، يا حبي ، لن استطيع الرؤية او السمع او الاحساس او التفكير ، ولا حتى الحياة . أحبك ، ولن اسمح - فيما بقي لنا من ايام نحيانا - ان يفصل احدنا عن الآخر ليلة اخرى . بدونك ، تبدو الحياة كما لو كنت تتوسل الرحمة من العاصفة ، أو كما لو كنت تشوه الجمال ، أو كما لو كنت تشيخ . أود أن أقفك ، هنا على عنقك ، عند منبت تلك الشعيرات .. وهناك ، حيث يبدأ صدرك . أحبك - وليس بوسمي ان اقول لك الى أية درجة - وأفكر : استطيع الموت دون ان تعرف ذلك .. آه يا أبليهي .. لا بد لك ان تحاول الاحساس كم أحبك ! - وانا ، بمجرد ان تفادر البيت بلا حياة ، وليس بوسمي حتى ان اكراه هؤلاء الناس الناكرين للجميل . لا اريد ان اكراه اي شخص ليس له الحق في ان يعيش لانه يوسخ عالمنا .. لانني احبك . تعال بسرعة . تعال الي . لا استطيع الحسابة بدونك . حتى لو كرهتني ، حتى لو كنت مغطى بالجروح كاجنم .. حتى لو ذهبت مع امراة اخرى .. حتى لو جعلتني اموت من الجوع .. حتى لو كنت تجلدني .. اعرف ذلك . اريد ايضا ان اكون معك يا حبي .. يا حبي .. يا عزيزي ! » « زوجتك »

كانت تحبه ، وربما كانت ضعيفة تحت وطأة عاطفتها القويصة نحوه . وما لم يره اصدقاء سكوت في ذلك الحين ، كان هذا الجانب بالذات ، الذي لم تكن فيه أقوى منه !

وفي ذلك الوقت ، كان سكوت فيتزجيرالد يسكر على قمة نجاحه الذي حققه كتابه « ذلك الجانب من الفردوس » الذي قد يعتبر اليوم - كما تنقل نانسي ميلفورد عن واحدة من صديقاته - كتابا بلا

أهمية ، ولكنه في عام ١٩٢٠ كان عملاً تجريبياً يؤسس نوعاً جديداً من الأدب .

ولكي تكيف نفسها مع حياة مفعمة ومتفجرة ، أعني حياة زوجها ، بدأت تلعب أدواراً متناقضة . كانت تبذل جهوداً كبيرة : لتكون عاشقة حقيقية ، وزوجة ، وامرأة مستقلة في الوقت نفسه . . لكي تسخر من الجميع وتظل مع ذلك لطيفة ومجاملة . . لكي تكون فخورة وتبقى أيضاً ملهمة زوجها وبطلة رواياته . وفي محاولاتها المصنية هذه ، كان يرادها الإحساس بأن زواجها ينزل شيئاً فشيئاً ، خفية ، نحو مناطق مجهولة ، حيث تغامر بأن تضييع . وتمكس عينها ، بسبب ذلك ، وميضاً غريباً ، سرعان ما يلاحظه جون دوس بأسوس السذي التقاهما في عام ١٩٢١ للمرة الأولى - وكان على وشك إصدار روايته « ثلاثة جنود » التي حققت له مكانة مرموقة في ميدان الأدب - : « التقيت زيلدا للمرة الأولى . كانت جميلة ولطيفة . كانت امرأة رائعة . . كل شيء فيها كان أصيلاً ومسلماً . غير أنه كان لها أيضاً هذا الوميض الغريب في نظرها ! » .

وفي سبيل أن يغيرا حياتهما ، وان يقتصدا قليلاً ، يبحر سكوت وزيلدا في ربيع عام ١٩٢٤ إلى فرنسا التي كانت محط معظم كتاب الجيل الذهبي الأميركي في أوائل هذا القرن . ويستأجر ، لكي يعكف على الكتابة ، دارة تشرف على الشاطئ اللزوردي . وهناك يلتقيان بمجموعة من الطيارين الفرنسيين كانت تسكر بالقرب من دارتهما ، حيث كانا يقضيان الأمسيات معهم يمرحون ويشربون . كان سكوت ينصرف إلى الكتابة طيلة النهار . أما زيلدا فقد حاولت أن تبذل جهدها لكي تترك زوجها ينصرف إلى كتابته ، فكانت تقرأ ، غير أن عينيها كانتا تؤلمانها ، ثم انها كانت تفضل أن تتحرك على أن تظل ساكنة بسبب القراءة ، ولذلك وجدت نفسها بعد حين ، وحيدة ليس لديها ما تفعله !

ويدون أن تنتبه إلى ذلك ، بدأت تلثني يوماً مع أحد هؤلاء الطيارين (ادوار جوزان) . وكان بوسع كل امرئ ان يلقاهما تحت الشمس على الشاطئ ، يتبادلان الانخاب : كانا جدلين من قدرتهما على الاعتماد عن رواد الشاطئ الآخرين . وكان سكوت سعيداً برؤية زيلدا برفقة انسان ليساعدها على ترجمة وقتها وتغيير مزاجها ! كان «جوزان» وسيماً ، وكان قد بدأ يحب زيلدا . ولكي يعبر لها عن حبه ، فقد كان يقوم ببعض الحركات البهلوانية بطائرته فوق دارتها ، بل كان يغامر في الاقتراب من السطح أقرميدي مسافة اصبعين ! كان يرى فيها مخلوقة مفعمة بالحوية ، بالرغبة العارمة في حياة حظها منها سحرها وشبابها وذكائها . لم تبد له امرأة معقدة ، وانما امرأة ذات رغبات بسيطة : أن تمتد الحياة على شواطئ مذهبة بالشمس ، وان تتسزه بالسيارة ، وان تقيم عشاءات لا تتخللها التقاليد والرسميات . حدث ذلك في عام ١٩٢٤ عندما كانت زيلدا في الرابعة والشرين من عمرها .

غير ان ذلك لم يستمر . فجأة ، لم يعد احد يرى زيلدا مع جوزان . ولم يعرف احد ما الذي جرى ، غير ان سكوت يكتب في مذكراته بتاريخ ١٣ تموز من ذلك العام : « الازمة الكبرى . . زيلدا تسبح كل يوم ! » . . لم يكن آنذاك قد مضى أكثر من ستة اسابيع على تعارف زيلدا وجوزان . ولم يد على سكوت انه فهم الأسباب التي دفعت بزواجه لتتعلق بجوزان ، فهو يكتب في مذكراته : « عرفت ان ثمة شيئاً قد تهدم ولن يكون بالوسع ترميمه » . وكان يرفض الاعتراف - لنفسه على الاقل - من ان زيلدا كانت يائسة وتعيسه من رؤية نفسها على هامش عالمه بينما يستمر هو في الكتابة ، ذلك انه سرعان ما يتفاعل ويكتب : « ها هي المشاكل تتبدد . . لم يعد لجوزان وجود » في حين كانت زيلدا تفكر ، ثم تقدم على محاولة انتحار كانت بداية انهيارها النفسي والعصبي . اذ ما تلثت في عام ١٩٣٠ أن تدخل المصح ، في حين يفرق سكوت في الجن .

وفي عام ١٩٢٢ تبدأ زيلدا كتابة روايتها « امتحني هذا الفالس » وبكل براعة ، تستعير اسم بطل رواية زوجها آموري بلان « ذلك الجانب

من الفردوس » . وما ان انتهيا حتى تدفع بها إلى الناشر . غير ان سكوت يعلم بذلك فيهرب إلى الناشر طالبا ايقصاف ضعب الرواية ، ويستعيد المخطوطة ليحري عليها بقلمه كثيراً من التعديلات . . ذلك انه لم يكن ليقبل ان تسفح زوجته على الورق حياتهما الخاصة . لقد كان هو كاتباً محترفاً . . اما هي ؟ وهكذا ضاع المقطع الاول من الرواية .

في عام ١٩٤٠ يموت سكوت فيتزجيرالد بازمة قلبية ، وفي عام ١٩٤٨ تموت زيلدا في حريق الماوى الصحي اندي كانت تنزل فيه . من حطم الآخر ؟ كان سكوت فيتزجيرالد - قبل نانسى ميلفورد - قد طرحه على نفسه وكتب : « كان الاصدقاء يقولون : ان كلامنا ، انا وزيلدا ، سيكون في افضل حال بعيداً عن الآخر . ولكننا كنا نحب بعضنا بعضاً . كانت تحب طعم التحول على شفتي ، وكنت أعبد هولوساتها الاكثر جنونا . اعرف اني لم افكر في يوم من الايام ان احدنا قد حطم الآخر » . وذلك ما توافق عليه نانسى ميلفورد : « كل مسؤول عن مصيره » . ولكنها تريد رد الاعتبار لامرأة احست نفسها دوماً على هامش العالم رغم انها كانت تملك كل الامكانيات لكي تكون في مركزه . فبالنسبة لهنمفواي ودوس بأسوس كانت زيلدا امرأة مجتونة . اما نانسى ميلفورد ، فهي مع « رينغ لاردر » الذي كان قد احبها كثيراً ، وكتب لها هذه القصيدة :

من بين كل الفتيات اللواتي احبهن
ويعلم الله ان كن عديدات
ليس منهن واحدة تساوي زيلدا ساير
التي هي الآن زوجة رصاص ! (١) .
تاريخ جديد للفلسفة . . .

في ميدان آخر ، هو الفلسفة ، تكثر احاديث المفكرين الفرنسيين عن طغيان وسائط الاتصال الجماهيري على الفكر الفلسفي المعاصر ، وابتدالها مفرداته باستخدامها في الحياة اليومية لترويج بضاعتها ، مفرغة اياها شيئاً فشيئاً من دلالاتها الاساسية . ولكن هؤلاء يشعرون - بالتقابل - بالحاجة الى ان تكون الفلسفة في متناول القطاعات العريضة من الجماهير دون ابتدال . وفي المكتبة الفلسفية الحديثة عدة كتب تتناول تاريخ الفلسفة يمكن اعتبارها من افضل الكتب في هذا الميدان خاصة كتاب جانيه وسياتي الذي نهج طريقة نبي تاريخ الفلسفة تقوم على اساس متابعة تطور كل مشكلة من المشكلات الفلسفية الاساسية على حدة منذ فجر تاريخ الفلسفة حتى العصر الحديث . ويمكن اعتبار هذا التاريخ نموذجاً لتاريخ الفلسفة الذي يقوم على مصادرة مفادها تقدم المعرفة . وهناك أيضاً كتاب اميل برهيه في تاريخ الفلسفة الذي يقع في تسعة اجزاء يتضمن تلخيصاً وافياً لتلمذاهب الفلسفة عبر اصحابها والمنتمين اليها واحداً واحداً . غير ان هذه الكتب تظل قاصرة على فئة من المثقفين او الطلبة ، فسي حين تظل الحاجة قائمة الى تاريخ للفلسفة يستطيع ان يخاطب الجماهير الواسعة . ومن هنا اهمية هذه المحاولة التي يقوم بها «فرانسوا شاتليه» الان من خلال اشرافه على كتابة تاريخ جديد للفلسفة يتناول الافكار والمذاهب بطريقة مختلفة . لماذا هذه المحاولة ؟ وما هي هذه الطريقة ، وما هي مبرراتها ؟ . تلك أسئلة طرحها « روجيه رول دورا » من اللوند على فرانسوا شاتليه في مقابلة اجراها معه ، وانقلها للقارئ فيما يلي :

- ما الذي يمكن ان يقدمه لنا اليوم تاريخ للفلسفة ؟ .
- ان ما هو مهم في الفلسفة الماضية ليس ان نعرف انها كانت قائمة على اساس تقدم المعرفة ، وانما هي الاجابات الاصلية والتصورات التي اعطتها للمشكلات التي طرحتها الممارسات الاجتماعية والدينية والعلمية . هذه التصورات المكتسفة يمكنها ان تلعب اليوم دورها في العديد من المجالات وخاصة في مجال نقد مجتمعنا .
ان تعليم الفلسفة اليوم يقوم على اساس نقدي بشكل اساسي .

وفي هذه الحالة فان تواريخ الفلسفة أنتهي نلاميذ الصوف
التكميلية وتطلب تواريخ دوغمانية . انها تعتمد على فكرة تقدم الفكر
من أفلاطون حتى جان بول سارتر أو ميشيل فوكو ، وهي طريقته
نرفضها رفضا مطلقا .

- في كتابك بعض المفكرين الذين لا يتوقع المرء وجودهم ، وآخرون
غائبون . هل كان هذا الاختيار تصفيا ؟ .

- فسي قسم منه . لان ذلك لا يعني ان نعكس صيرورة الفكرة
الفلسفية - وتواريخ الفلسفة التي نهجت أسلوبا مختلفا كليا نفعلا -
ذلك - وانما استشارة عاطفة الحب أو السخط . وسأكون مفتونا اذا
حدث ان فارنا كان يقرأ الجزء الثالث من كتابي فقدت به جانبا وهو
يقول لنفسه : « سائرا أسينوزا » . ومما لاشك فيه ان من الممكن ان
يبدو لامعولا تخصيص « توما ماونترز » بفصل كامل وندم ذكر آيسة
كلمة عن بليزاسكال أو على الأقل مجرد التلميح اليه . ألا انه كان لي
حظ الالتقاء بباحث جديد بالحديث - بطريقة رائعة - عن توماس
ماونترز . ثم ان باسكال لا يحمل أدنى فكرة جديدة عن الفكر التبريري
المسيحي الذي تحدثت عنه الفلسفة الوسيطة مطولا .

- ماهي أبرز خطوط الجزء القادم ؟ .

- انه يحمل اسم « الفلسفة والتاريخ » 178. 188 ، وسوف
يحلل استجابة النظرية للواقع الجديد الذي فرضته صيرورة المجتمعات
واشتراك الشعوب الفعلي في ميادين البحث . لقد عادت الفلسفة
للعلم سواء من خلال تحضير النظم الكبرى ، او من خلال الاحتجاج
ضد هذه النظم نفسها كما هو الامر بالنسبة للفلاسفة (شترنر -
كيركفارد - باتونين) أو من خلال إعادة تحديد نظام النظرية (ماركس
وأنفلز) .

- هل يمكن كتابة تاريخ لفلسفة القرن العشرين كما هو مخطط
الجزء الثامن ؟ .

- يمكن الحديث عنه . ففيه أيضا تبرز نواحي الاختلاف . يتضمن
هذا الجزء بشكل خاص فصلا لجاك بوفريس عن فكرة مهمة في فرنسا
هي « التجريبية المنطقية (راسل - كارناب - فتنشتين) ، وفصلا عن
فرويد كتبه بيير كوفمان ، وستتحدث جيل دولوز عن الليبوية . انه
من الصعب إنجاز كل شيء . ربما كنا ندخل في عصر نور جديد
يسبق ثورة جديدة ، وربما كان العكس اذا أردنا التحدث كالأهوتيين:
أي بداية نهاية الزمن .

- هل يمكن اعتبار تاريخ الفلسفة هذا دليلا ؟ .

- على كل حال انه ليس دليلا مفصلا ، وانما تسميته «جغرافية
الفلسفة » . وفي الواقع فان مشروعه هو ممارسة المكتشفات الجوهرية
عبر مؤسسة نؤلف ماضيه وقوته ذلك يعني لا أن نرى المشهد فقط ،
وانما أن نتساءل كيف أصبح هذا المشهد على ما هو عليه الآن ، أعني
هذا المشهد الذي نراه اليوم

ان تتكلم عن افلاطون مثلا ، هذا يعني ان تعمل في الجيولوجيا .
بيد ان الجيولوجيا ترى في لون الاحجار وفي الاحسراج ، وبملاحظتها
يمكن ان تعود بها لمرحلة التشكل الذي جعلها على هذا الوضع وحدد
بالتالي خصائصها . ذلك هو معنى مشروعي :

- ثمة ضرورة تتحكم بكسل كتاب وهي قابليته للقراءة . الى أي

جمهور يتجه هذا الكتاب ؟ .

- كان كانظ قد تحدثت عن ذلك في نهاية القرن الثامن عشر :
على الفلسفة أن تكون شعبية ، أي أن تكون مقروءة . ان الإبتدال
يقوم على تسهيل المشكلات المطروحة لاطفاء اجابات سهلة . أما الفلسفة
الشعبية فهي على العكس ، تحافظ على صعوبة وتعقد الاسئلة والاجابات ،
ولكن بطريقة تجعل فيها هذه وتلك قابلة للفهم . وعلى الرغم من الهجوم
الذي يشن عليها ، والسخرية التي تثار ضدها ، فقد تابعت الفلسفة
ممارسة سحرها الكبير . ان مفكرين مسن أمثال ميشيل فوكو وجيل
دواوز يستشبهون ظاهرة تتعلق بالهوضة ، ولكني اعتقد ان هذه الهوضة
ترجم ظاهرة أكثر عمقا .

ان الناس يشعرون ان المفردات الفلسفية التي يستطيعون
سماعها من الراديو أو من التلفزيون تستخدم بشكل رديء . أنهم
يريدون معرفتها بشكل أوضح ، أسد وضوحا من التفسير الذي يقدم
لجمهور الجامعات . فالي هذه الصحابة التمسكة لوسائط الاتصال
الجماهيري ينجم تاريخ الفلسفة هنا . أنهم ضحايا لان وسائط الاتصال
الجماهيري تستخدم هذه المفردات النبيلة لكي تحرر ما يمكن تسميته
ببصاعتها .

- هل أنت راض عن تاريخ الفلسفة هذا ؟ .

- نعم ، اذا فست المشروع بتحقيقه . ولكن مشروعا آخر اكبر
اساعا يمكن أن يتحقق يحتاج الى عشرات السنين ومئات الباحثين
وهذا يعني تاريخا للفلسفة يدمله تاريخ علم اللاهوتوجيات . لابد ان
من بحث الفلسفة كما يبحث الأنتولوجيون مجموعة من الاساطير معرفة
أي قوام وأيه بنيه نملها المعاللات الفلسفية وما هي وظيفتها الأيدولوجية
ودلالاتها السياسية . ألا انه من أجل ذلك لا بد للانسانية من ان تفرغ
التفكير بماضيها بوصفه ماضيا .

أسبوع الثقافة العربية

على أن الحدث الثقافي العام قبل شهرين (1) لم يمر في باريس،
وانما في مدينة ستراسبورغ ، وأعني به اسبوع الثقافة العربية الذي
نظمه مكتب الجامعة العربية في باريس بالتعاون مع جمعية الصداقة
العربية - الفرنسية وجامعة العلوم الانسانية في ستراسبورغ ،
والسفارات العربية في باريس .

لاول مرة يعام مثل هذا الاسبوع الثقافي في فرنسا ، وفي
منطقة الازراس بالذات حيث يكاد يكون الوجود العربي فيها معدوم
في محاولة لتعريف بمظاهر الحضارة العربية المختلفة . وقد تضمن
الاسبوع ثلاث محاضرات وأمسية موسيقية ومعرضا للفنون التشكيلية
ومعرضا للكتاب العربي .

اشترك في آلقاء المحاضرات كل مسن علي مراد أسد العلوم
الإسلامية في جامعة ليون ثائقى محاضرة عن الإسلام ، ونجم الدين
بامات - وهو افقاني الاصل - مدير ادارة الثقافة في منظمة اليونسكو
الذي تحدث عن آثار الحضارة العربية الإسلامية على العالم العربي ،
وبول بالتا الذي تحدث عن التنمية في البلاد العربية ومبادلاتها مع
أوربا .

اما بالنسبة للموسيقى فقد أحيى عزاف العود المعروف ماهر
عقيلي امسية موسيقية استمرت ثلاث ساعات وذلك في مقر معهد
الكونسرفتاتوار بستراسبورغ .

وخلال ايام الاسبوع بين 1-24 1972 و 2-1972 اقيم معرضان:
معرض الفن التشكيلي في قاعة برنانوس بجوار جامعة ستراسبورغ ،
وقد تضمن عددا من اللوحات التي قدمها الفنانون العرب الذين يقيمون
في باريس حاليا - وقد كان من قبيل الصدفة المحضة ان عددا من أهم
الفنانين التشكيليين العرب مقيم في باريس حاليا - ، ومعرض الكتاب ،
وقد ضم حوالي خمسمائة كتاب قدمتها مختلف السفارات العربية في
باريس وتمثل أوجه النهضة في البلاد العربية وتاريخها وحضارتها .

لقد كان هذا الاسبوع ولاشك مبادرة جيدة قام بها مكتب الجامعة
العربية في باريس بالتعاون مع جمعية الصداقة العربية - الفرنسية .
وقد احتفلت به كافة الصحف الإقليمية التي تصدر في منطقة الازراس
وخصصت له اذاعة فرنسا - الثقافة FRANCE CULTURE

برنامجا يوميا لمدة عشر دقائق تضمن احاديث عن مختلف أوجه النشاط
فيه وأجرت حوارا مع كل محاضر حول الموضوع الذي عالجه . وفي
نهاية الاسبوع نظمت محطة فرنسا FRANCE - INTER مساندة

(1) كنت وددت التحدث عن هذا الحدث في الرسالة التي كان يجب
ان أكتبها للعدد الماضي من « الاداب » غير ان ظروف طارئة حالت دون
كتابتها .

مستديرة حول الاسبوع اشترك فيها كل من لوي تيرنوار رئيس جمعية التضامن العربية - الفرنسية ، وتوسيان بيتزلان سكرتيرها العام والدكتور فهد مدير معهد الدراسات العربية بجامعة ستراسبورغ والمستشرق الفرنسي لوسيل الاستاذ بمعهد اللغات الشرقية بجامعة باريس ، ومدير مكتب الجامعة العربية بباريس .

ويمكن انقول ان هذا الاسبوع قد حقق الاغراض المنشورة منه - نسيبا ولا شك - بانقياس الى الامكانيات المادية والتنظيمية التي خصصت له . ولكنه على كل حل كان محاولة أولى - ميزتها الاولى والاهم انها تقدم انوطن العربي كوحدة ثقافية لا كاجزاء - يشوبها ما يشوب المحاولات الاولى من اخطاء ويعتورها ما يعتور المحاولات الاولى دوما من نقص ومن الاهمية بمكان ان نسجل في هذا المجال الملاحظات التالية :

- ان اقامة اسبوع خاص بالثقافة العربية الكلاسيكية في اوجها تمثل جزءا من هذه الصورة . غير ان الانحصار عليها - من خلال المحاضرات خاصة - يكاد ينفي الوجود الثقافي العربي المعاصر الذي يتشكل ولاشك الجزء المتم من الصورة . ومن الغريب ان تتطرق المحاضرات الى الثقافة العربية المعاصرة ، في حين يقدم معرض الفن التشكيلي اخر ما وصلت اليه مواهب الفنانين العرب في هذا الميدان . لقد كان من الممكن دعوة أساندة آخرين ، سواء من فرنسا او من البلاد العربية للحدث عن الادب العربي المعاصر ، عن الموسيقى العربية المعاصرة ، عن اوجه التطور واتساع الاقتصاد والاجتماعي في الوطن العربي خلال اتحمه الاخيرة . . ولكن المشرفين على تنظيم هذا الاسبوع لم يلتفتوا الى هذا الامر . . لأنه مفارقة في مس جوانب سياسية يريدون الابتعاد عنها بأي ثمن ؟ . لكن ما دام انقراض من اقامة هذا الاسبوع هو التعريف بالثقافة العربية فلماذا نقدم الصورة ناقصة ؟ .

كان من الممكن ان يتضمن الاسبوع - ما دام اسبوعا للثقافة العربية - نشاطات اخرى لا تقل اهمية في قدرتها على اعطاء صورة واضحة وعميقة عن هذه الثقافة . كان من الممكن ان يتضمن الاسبوع عروض سينمائية لافلام عربية لا تقدم فكرة عن المستوى الذي حققه وطننا العربي في مجال فن وصناعة السينما فحسب ، وانما تقدم صورة عن التطور الحضاري الراهن في الوطن العربي وتطرح في الوقت نفسه قضايا الانسانية . ألم يكن من الممكن تحقيق نتائج ايجابية اخرى ضمن حصيلة النتائج الايجابية لو عرضت افلام مثل فيلم « اومياء » و « انفلاج الفصيح » لشادي عبدالسلام ، و « المخدوعون » لتوفيق صالح ، و « بعيدا عن الوطن » و « شهادة الاطفال الفلسطينيين في زمن الحرب » لقيس الزبيدي و « نابالم » لتبيل المالح ؟ . ألم يكن من الممكن تحقيق نتائج ايجابية اخرى لو نظم النشاط الخاص بالموسيقى العربية على اساس ان تقدم خلاله اعمال موسيقية لمؤلفين موسيقيين من امثال ابي بكر خيرت ، المؤلف الموسيقي العربي الذي نتج للموسيقى العربية افقا عاليا ما يزال تلامذته يتابعون طريقه من بعده ، بدلا من ان يقتصر النشاط الموسيقي على ثلاث ساعات من العزف المنفرد على العود - ولماذا العود وليس القانون وهو اكثر غنى مثلا ؟ - عزفا قد يطرب البصم ولكنه يدهش البعض الاخر ولا شك ؟ .

- لم تكن النظية الاعلامية التي سبقت اقامة الاسبوع او تطلته كافية . صحيح انها كانت جيدة على المستوى الاقليمي ، اي على مستوى منطقة الازراس ، ولكنها كانت معدومة في باريس . ففيما عدا الخبر الصغير الذي نشرته صحيفه « اللوموند » لم تشر اية صحيفه اخرى الى هذه الظاهرة الثقافية العربية الاولى من نوعها في فرنسا .

- على الرغم من الطابع الثقافي المحض لهذا الاسبوع ، وعلى الرغم من اقامته في مقاطعة الازراس وليس في باريس مثلا ، فانه لم ينتج من هجوم صهيوني . فقد نشرت صحيفه محلية تصدر في ستراسبورغ هي صحيفه « Tribune Juive » مقالا تحت عنوان « هل اصبحنا جامعة ستراسبورغ صنيفة جمعية التضامن العربية - الفرنسية » تعرضت فيه لجمعية التضامن العربية - الفرنسية بقولها: ان هذه الجمعية، وهي ذات طابع سياسي تحاول تحت ستار الثقافة

الحصول على نتائج سياسية . وقد هاجمت ايضا رئيس الجمعية السيد لوي نيرانوار - وهو وزير ديفوتي سابق - بقولها : « انه الرجل الذي انهم غولدا مائير بانها المسؤولة عن مذبحه ميونيخ ، وانه لا يكف عن مقارنة الصهيونية بالنازية . . . » .

ان مثل هذا الهجوم الذي يتعرض له نشاط ثقافي محض لا بد ان يؤخذ بعين الاعتبار عند تنظيم اسبوع اخر . فلا شك ان تنظيم اسبوع يقدم صورة عن الثقافة العربية المعاصرة ووجوه النشاط الحضاري الراهنة في الوطن العربي لن يبقى بمعزل عن هجوم اشد واقسى ، وربما تعرض الى ضغوط صهيونية تحول دون اقامته . فقد تساءت الجريدة المذكورة نفسها عن سبب عدم ممارسة مثل هذه الضغوط للحيلولة دون اقامة هذا الاسبوع ، هذا فضلا عن تعرض اصداق العرب من الفرنسيين الى حملات قدرة تمس كرامتهم وانسانيتهم . فما الذي بوسعنا ان نفعله لمواجهة مثل هذه الضغوط ولحماية هؤلاء الاصداق بل ولدفاع عنهم اذا نزم الامر ؟ . لا بد ان تكون الاجابة عن هذا السؤال في حسابنا عند البدء في تنظيم تظاهرة ثقافية اخرى تتلافى نواقص التجربة الاولى .

ان الملاحظات السابقة لا تحول على كل حال دون تقديرنا لهذه المحاولة التي كان يجب ان تحقق منذ زمن بعيد .

باريس بدرالدين عرودي

الاتحاد السوفياتي

رسالة من برهان الخطيب

ما الجديد في مسارح موسكو

وانت تمشي في شوارع موسكو : غوري ، كالينين ، تشيخوف ، وعشرات غيرها ، تلتقط عينك يوميا اعلانات لا حصر لها تشير لك الى ما يعرض في مسارح المدينة ودورها الثقافية الكثيرة ، التي هي بمثابة نواد اجتماعية عامة . ولا تكاد تقرأ نصف ما تصادفه من هذه الاعلانات ، حتى تجد في اليوم التالي ان كل شيء تفسر ، وان مسرحيات جديدة تعرض وحفلات موسيقية مختلفة تقام ومحاضرات ادبية وتعلمية اخرى تلى . واتسكك ببع الذكّر لهذه الحفلات موزعة في كل مكان تقريبا ، ولكن اغلبها يعنر عند بدمك نطلب بطاقة الى مسرح تكانكا (قبل حوالي العقد اخذ المخرج لوييموف طلبته وزملاؤه الى مبنى صغير في منطفه تكانكا ظارفا دربا جديدا لم يكن المسرح السوفياتي يعرفه من قبل . . نمرد توييموف وفرفته على التقاليد المسرحية التي دامت عفودا ، وطرح مفاهيم واشكالا جديدة جوبهت برفض قاطع ، وقبول شديد . . فهاملت مثلا نراه على المسرح ببسده قيثاره ، يردي بلوزة سوداء رياضية وسروالا نصريا (كاوبوي) ، يدمم بكلمات نسمعها من « الشباب المتهد » في الشوارع . . ومن هذه الصورة البسيطة يمكن الانطلاق في تكوين انطباع عن هذا المسرح الطليعي - الذي لا يقتصر تأثيره على المشاهدين اتلثمائة الذين لا تسع فاعة المسرح غيرهم ، بل يتعداهم لينسحب على مسارح الشباب المعاصرة في شتى انحاء الاتحاد السوفياتي) مثلا او مسرح سفيرمينيك الجديد ، او مسرح فاخنانكوف . فالحياة الثقافية هنا في فوران دائم والناس يجدون الوقت دائما لمناعبة كل ما يستجد عرضه هنا في العاصمة السوفيتية ، غير ان ليس كل المسارح تلى مثل هذا الاهتمام من الجمهور ، فالمشاهد اليوم لا يتلقى كل ما يسمعه او يراه دون ابداء رأي ، فهو قد وصل الى درجة من المعرفة والثقة بانفس بحيث يمكنه الوقوف امام عدسات التلفزيون في برامج حية للرد على أسئلة مذيعين لبقين دون ارتباك او اهتمام بالاصواء التي يسلطها عليه مسؤولو الانارة في هذه البرامج ، هذا هو اعتقاد الناقد المسرحية المعروفة اينافيشنفسكايا الذي دفعها لاستحداث برنامج بالاتفاق مع احد المخرجين لاستقراء آراء المشاهدين حول انحية المسرحية الناشطة اليوم ، فتاتي هذه الآراء تحمل نكهات خاصة ومضامين غير متوقعة في كثير من الاحيان ولكنها دائما تكون ذا فائدة للكتاب وللممثلين وللمخرجين على حد سواء . ولا يخلو الامر من طرافة في احيان اخرى ، توجه الكاميرا الى جمهور المشاهدين اثناء خروجه بعد انتهاء العرض وتسال مقدمة البرنامج احدى السيدات وهي تهبط السلم في طريقها

لارتداء ممطفا :

– سيدي العزيزة ، ما رأيك في المسرحية التي عرضت اليوم ؟
ولكن السيدة تواجه ابتسامة مقدمة البرنامج بتقطيعة وتجيها :
– ام تعجيني !
وتسع ابتسامة المدمة في محاولة لتدارك الموقف امام جمهور
مشاهدي التلفزيون ، وتوجه بالسؤال الى رجل يحتفظ بسيماها
الوفاها :
– هلا قلت لي ايها الرفيق ما الذي جعلك نختار هذه المسرحية
بالذات لمشاهدتها من بين عشرات المسرحيات الاخرى التي تعرض
في العاصمة ؟

ولكن الرجل يواصل هبوط السلم قائلا :

– هذه هي المرة الاولى التي أدخل فيها المسرح بعد مرور ست
سنوات ، وبعدها ان أدخله ثانية ابدا !
وتنتقل التاميرا الى اكنسك بيع التذاكر لترصد حجم الاقبال
على هذا المسرح او ذلك ، فتري الطلبات تتوافد على عروض مسرحي
سفرميناك وفاختانكوف بكثرة توحى كما لو ان القضيصة مقصودة
او أن لا مسارح في موسكو غير هذين المسرحين ، ولذلك يتفق المخرج
مع احد العمال الفنيين لتمثيل دور في البرنامج بالاستفسار من بائنة
التذاكر عن عروض مسرح آخر غير هذين المسرحين ، فيسأل العامل :
– هل من تذاكر لمسرح غوغول ؟
يتوقع أن يسمع رد « التذاكر ناعدا » اسوة بالاجابة على
الاستفسارات المتكررة حول مسرحي سفرميناك وفاختانكوف . لكنه
يفاجأ بوجه البائنة يطل عليه من فتحة الكشك متلهفا على بيع
تذكرة :

– نعم . اتريد ؟

ولا يدري العامل بماذا يجب وهو الذي لم يحسب حساب ذلك
مع المخرج ، فيتمتم اخيرا :
– لا . كان مجرد سؤال !

وينقد نفسه بالتطلع الى نشرة العروض المسرحية .

وهكذا تمضي الحياة المسرحية بدق شديد على الرغم من تمسك
بعض المسارح بتقاليدها القديمة ، بل ان « تاكانكا » يرفض قبول
مسرحيات جديدة متشبها بعروضه المتسادة ، مستثنيا استضافة
هاملت وطروطف على خشبته في هذا العام . كذلك فان « مخات »
رفض بنائة جديدة أعدت له ، لحرصه الشديد على تقاليده التي
ارتبطت – كما ترى هيئة المسرح – ببناء المسرح القديم والتي يخافون
موتها بانتقالهم الى هذه البناية الجديدة ، ولذلك يعمدون الآن الى
استخدام حيلة متهذبة بمحاولة افناع السلطات المختصة اهداء هذه
البناية الى مسرح آخر او تحويلها الى متحف لتاريخ مسرح « مخات »
نفسه .

لكن السؤال عما هو جديد في الحياة المسرحية للعاصمة
السوفياتية يظل قائما .
فما هو الجديد فعلا ؟

يلاحظ النقاد ان التراجيديا تضمحل من يوم الى يوم في المسرح
المعاصر ، وان كثيرا من الممثلين السذيين اعتادوا على اداء ادوار
يتخصصون بها يموتون الآن (ليس جسديا) وانما تاريخيا – فنيا ،
لان ادوارهم بالذات اخسذت تتلاشى من الحياة اليومية للمواطن
السوفياتي ، مقابل هذا أخذت تنشأ مفاهيم واساليب جديدة في التعبير
الفني ، يقف في مقدمة اولئك الذين يطرحونها اليوم على خشبسات
المسارح الكاتب المسرحي المشهور فيكتور روزوف الذي يمسك النجاح
بين يديه منذ زمن طويل دون ان يتركه يهرب منهما . كتب مسرحيات
كثيرة جدا ، تعرض الآن في موسكو اثنان منها . وقد اعتاد الكاتب هذا
على تقديم عمل واحد في كل عام . وحققت مسرحيته « في ساعة
طيبة » نجاحا ممتازا بحيث ان احد النقاد كتب عنه قائلا : ما ولد
عنانا ليس كاتب مسرحيا جديدا بل مسرح جديد . وآخر ما قدمه
روزوف مسرحية جديدة بعنوان « حالة » جرى عرضها في حفل خاص
بعد ان تمت البروفات المطلوبة لذلك ، ولكنها لم تحظ لحد الآن
بسماع هيئة الرقابة ، الذي يتوقع ان يتم بعد اجراء بعض التعديلات

والحذوفات ، كما انها لم تطبوع ايضا بعد في أي من المجلات
المسرحية .

« حالة » هي من اكثر المسرحيات التي تثير النقاش هذا اليوم .
يحتفظ الكاتب روزوف بالتقاليد المسرحية القديمة فيها كما هي
عادته دائما في باقي مسرحياته الاخرى . ولم يحدث ان كتب مسرحية
واحدة خارج اطار « الواقعية » . ففي كل مسرحية من مسرحياته تجد
عنده العقدة وتطور الحدث والنحل والسيان الواضح ... الخ ، دون
ان ينسى تثبيت بعض المسائل الاخلاقية ، منجزا كل هذا ببنية عالية ،
الا ان تشييره بعض المبادئ الخلقية يؤثر عليها بشكل سيء ،
اذ يعرفها عن جادة الصدق النفسي لتكوين الشخصيات .

تحدث المسرحية الجديدة عن العامل الشاب فيكتور الذي يشغله
التفكير في تطوير الطريقة الانتاجية في عمله ، فينجح في ابتكار
اختراع جديد يتقبله العمل منه ويضعه موضع التنفيذ ، ويمنحه لقاء
ذلك مبلغا كبيرا (... روبل) . وفتتح المسرحية على مشهد
العامل الشاب فيكتور يجالسه صديقه انطوان ويتحدث معه حول
طريقة صرف هذا المبلغ غدا استلامه . ويروح الصديق وآخرون
يتفكرون في امر هذا المال مقترحين توزيعه بين شراء راديو ترانزستور
وشراء فداحة غازية وأشياء كمالية اخرى غير هذه ، وفتتح احدى
الداخلات – والشخصيات يدخل الى المسرح ونخرج بلا تبرير ودون
خضوع لحبكة فنية ، فروزوف يقول ان دخولها يجب ان يكون كما
في الحياة من غير افتعال لحظات بنفذ الى الصمدق الموضوعي –
تتمتع هذه الفتاة اعطاء المدير ربع المبلغ أي الف روبل نظير تقديره
لجهود الشاب المخترع ومنحه هذه المكافاة ، واعطاء ايفان ايفانوفج
(شخص غير معروف) الف روبل ايضا ، كذلك لها (للفتاة)
الف روبل ، والالف الاخيرة يشتري بها هدايا . وهكذا تصبغ المبلغ
على هذه الاشياء ، وحين يسأل العامل المخترع عن نصيبه في هذه
المكافاة تجيبه الفتاة : لك اربعون روبلا ، الا ترى ذلك مسجلا هنا في
القائمة ؟! ويعطونه ورقة سجلوا فيها كل مقترحاتهم . وتدفعه الفتاة
تتمارا والام الى استلام المبلغ . فينهض من مكانه ويتحرك للذهاب ،
لكنه لا يفعل شيئا غير أن يتناول قليلا من اناء ويشربه ، ثم يتوقف
برهة ينظر نحو السماء ويرجع اليهم بين دهشتهم . وهكذا يتطور
حدث المسرحية بهدوء وبلا افتعال ومن خلاله يحاول المؤلف افهامنا
ان حرب الفرد مع الشر ومع النواقص الحياتية تحوله بشكل ما الى
مخلوق شبيه بالخطايا التي يحاربها . انها فكرة عميقة هذه التي
يعرضها لنا روزوف ، ولكنه لا يقولها بمعزل عن تأثير بولستوي عليه ،
وهو يقول في المسرحية بكلمات غير مباشرة ان : اتروا العبارة في
هدوء . فالرجال نوعان كما يقرر : العبارة (نمط غاليلو) الذين
ينبغي تركهم فيفتنحون ما يريدون لانهم وان يحنوا رؤوسهم لحين فانهم
يواصلون في نفس الدقة انجاز ما يريدون انجازه . والنوع الثاني
نمط سبارتاكوس الذين يشقون طريقهم في الحياة وفي ايديهم السيف
والرمح . ويقترح الكاتب ايضا عدم الخلط بين اولئك وهؤلاء ولا
داخي لزوجهم في مجال واحد .

هناك اشخاص يعرفون انكاتب شخصيا يقولون عنه ان ابطال
مسرحياته تحمل الكثير من صفات المؤلف وفلسفته . تراه في كثير من
الاجيان يخرج صباحا الى محطات المترو والفطر يناقش الناس حول
ماهية الخير مبررا بينهم بأرائه ومفاهيمه حتى انه يعود الى بيته
في المساء متعبا لا يقوى على الامساك بالقلم ومواصلة الكتابة . وقد
أعلن في احدى المرات اثناء اتقائه بطلبة معهد باومن العلمي ما يكرهه
غالبا في احاديثه الخاصة من ان الفقر والترفع عن الملاذ الدنيوية هو
أحسن شيء في الحياة . وقد جوبه باعتراضات انطلبة وهتاف ضاحك
يدعو ان اعطنا أولا لنعرف هذه الحقيقة .

وجهت الناقدة فيشنفسكايا بعض الملاحظات الى مسرحيته الاخيرة
« حالة » وشخصت فيها انتقادها الى قليل من الفكاهة تحتاجه لاشاعة
حيوية اكثر في جوها العام . ويعتقد ان المسرحية ستستكمل قريبا
كل الشروط الفنية والادارية المطلوبة لعرضها خلال الاسابيع القليلة
القادمة في العاصمة السوفياتية .

برهان الخطيب

موسكو